﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾

[الزمر: 68]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من ضعف التَّعظيمِ في قلوب بعضِ العباد إلى ما يوجب التَّعظيم

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقةُ ما يدلُّ على عظيم قدرتهِ يومَ القيامةِ، وأنَّ العبادَ لا يرعوون عن معاصيهم وفسادِهم؛ ناسب أن يُتبعه ما يكون يوم القيامة مِن النَّفخِ في الصّور، فيُصعَق كلُّ مَن في السَّماوات والأرض إلّا ما شاء الله، ثم يُنفخ في الصّورِ مرَّةً أخرى؛ فإذا الخلقُ قيامٌ ينظرون، فهو انتقالٌ من بيان ضعف تعظيم الله تعالى في قلوب بعضِ العباد، إلى بيان ما يوجبُ ذلك التَّعظيم، ويحقِّق ذلك التَّهويل.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَنُفِخَ﴾: (نفخ) أصلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلى انتِفاخٍ وعُلوٍّ، ومِنهُ انتفَخَ الشَّيءُ انتِفاخًا، ويُقالُ انتفَخَ النَّهارُ: عَلا، ونَفْخَةُ الرَّبيعِ: إعْشابُهُ؛ لأنَّ الأرضَ تَربو فيهِ، وتَنتَفِخُ، والمَنفوخُ: الرَّجُلُ السَّمينُ[1]، والنَّفخُ عامٌّ في كلِّ اندفاعٍ للهواء، ومنهُ نفْخُ الإنسان بِفيهِ، ونفْخُكَ النّارَ بالمِنفاخ وغيره، وكلُّ ما فاؤه نونٌ، وعينه فاءٌ؛ يدلُّ على معنى الخروج والذَّهاب[2]، ومعنى النَّفخِ في الآيةِ الكريمة هو المعنى المعهودُ، فهو نفخٌ في الصّور؛ ليخرج صوتٌ يُعلم منه المقصودُ.

2) ﴿ٱلصُّورِ﴾: جمع صورةٍ، فهي تجمع على صوَر وصوْر، والمعنى:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نفخ).

(2) ابن الأنباري، الزاهر: 2/ 223، وابن دريد، جمهرة اللغة: (نفخ).

نفخ في صورِ الأرواحِ[1]، ومعنى ﴿ٱلصُّورِ﴾ في الآية الكريمةِ: (صور) الصّور هو القرنُ الَّذي ينفُخ فيه إسرافيلُ[2].

3) ﴿فَصَعِقَ﴾: (صعق) أصلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ صَوتٍ، فمِن ذَلِكَ الصَّعْقُ، وهوَ الصَّوتُ الشَّديدُ، يُقالُ: حِمارٌ صَعِقُ الصَّوْتِ؛ إذا كانَ شَديدَهُ، ومِنهُ الصّاعِقَةُ، وهيَ الوَقْعُ الشَّديدُ مِنَ الرَّعْدِ، ومِنهُ قَولُهُم: صَعِقَ؛ إذا ماتَ، كَأَنَّهُ أصابَتهُ صاعِقَةٌ[3]، ومنه الصاعِقَةُ: صيحةُ العَذابِ، الصَّعِقُ: المغشيُّ عليه، يُقال: صعق صعقًا: غُشي عليه من صَوْتٍ يسمعه أو حِسٍّ، فهو حين يسمع صوتَ الهدَّة الشَّديدة يصعق لذلك عقلُهُ[4]، ولفظُ الصَّعقِ في الآية: المراد به موتُ الخلائق، نتيجة الصَّوت الشَّديد؛ جرّاء النَّفخ في الصور.

4) ﴿قِيَامٌ﴾: (قوم) أصل يَدُلُّ عَلَى انتِصابٍ أو عَزْمٍ، فَقَولُهُم: قامَ قيامًا، والقَومَةُ المَرَّةُ الواحِدَةُ؛ إذا انتَصَبَ، ويَكونُ قامَ بِمعنى العَزيمَةِ، كَما يُقالُ: قامَ بِهَذا الأمرِ؛ إذا اعتَنَقَهُ، والقيامُ في الآية مِن: قام يقوم قيامًا، وجاءَ على فِعال؛ إذ حوِّلت الواو منه ياء، مِن أجل انكسار الحاءِ قبلَها، فقيل فيه: قيامًا، كما قيل في (حيالًا وصيامًا)، وهو خلافُ القعودِ[5].

5) ﴿يَنظُرُونَ﴾: (نظر) أصلٌ صَحيحٌ يَرْجِعُ فُروعُهُ إلَى مَعنًى واحِدٍ، وهوَ تَأمُّلُ الشَّيءِ ومُعايَنَتُهُ، ثُمَّ يُستَعارُ، ويُتَّسعُ فيهِ، فيُقالُ: نَظَرْتُ إلَى الشَّيْءِ أنْظُرُ إلَيهِ؛ إذا عايَنْتَهُ، ويَقولونَ: نَظَرْتُهُ، أي: انتَظَرْتُهُ، وهوَ ذَلِكَ القياسُ، كَأَنَّهُ يَنظُرُ إلى الوَقْتِ الَّذي يَأتي فيهِ[6]، والنّاظر: المتأمِّل الشَّيء بالعين، ونَظَرْته في معنى: انتظرْتُهُ، وفي التَّنْزيل: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: 13]، وأنظرتُهُ أنظرهُ إنظارًا؛ إذا أخَّرته في بيع أو غَيره[7]، ومعناهُ في الآية الكريمة حقيقةُ النَّظرِ، وهو التَّأمُّل وإدامة النَّظر بالعين بذهولٍ ودهشة، ولا يبعد معنى الإنظار وهو التَّأخيرُ[8]، فهو مِن احتمالات اللَّفظِ المنساب مع السّياق، واجتماعُ المعنيَين بديعٌ إلى الذِّهن سريع.

(1) ابن الأنباري، الزّاهر، ص: 416، والأزهري، تهذيب اللغة: (صور).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 24/ 29، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 272.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صعق).
(4) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة: (صعق)، وابن الأنباري، الزاهر: 2/ 223.
(5) ابن درستويه، تصحيح الفصيح، ص: 243.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نظر).
(7) ابن دريد، جمهرة اللغة: (نظر).
(8) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 136.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ حال الصَّعقتين في القيامةِ ما بين إماتةٍ وإقامةٍ

تصف الآيةُ الكريمة مشهدًا عظيمًا مِن أحداث يوم القيامة، حيثُ ينفخ المَلَكُ الموكَّل بالنَّفخ في القرن النَّفخةَ الأولى، فيموت كلُّ مَن في السَّماوات والأرض إلّا مَنِ استثناهم الله بحكمته، ثم ينفخ فيه، فيَبعث اللّهُ جميع الخلق أحياء للحساب، وهم في حالة ذهولٍ وترقُّبٍ لما ينتظرهم.

وهذا المشهد يؤكِّد قدرةَ الله المطلقة في إنهاء الخلقِ وإعادتهم للحياة، ويذكِّر بعظمة يوم القيامة وما فيه مِن رهبةٍ وعدلٍ إلهيٍّ، ففيه ثلاثُ نفخات؛ إحداها: نفخةُ الصَّعق المذكورة في الآية هنا، وهي نفخةُ الموت، وهذه هي الَّتي فيها الهلاك لجميع الموجودين مِن أهل السَّموات، ومَن في الأرض مِن الإنس، والجنِّ، والملائكة إلّا مَن شاء اللّهُ، والأخرى نفخةُ الإحياء، وما بينهما فهي مدَّةٌ زمانيَّةٌ ليس للخلقِ فيها شيءٌ، والثالثة: نفخةُ الفزعِ، وهي سابقةٌ لنفخة الصَّعق، بدليل قولهِ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: 87][1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

التَّناسبُ في المعطوفاتِ وحسنُ الانتقالِ في الاستئناف

الواو في قولهِ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ حرفُ عطفٍ على ما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: 67]، فالجملةُ مِن عطفِ الجملة على الجملة، للانتقالِ مِن إجمالِ عظمة القدرة يوم القيامةِ إلى تفصيلِها؛ لما فيه مِن تهويلٍ وتمثيلٍ، لمجموع الأحوال يومئذٍ، ممّا ينذر الكافر، ويبشِّر المؤمن،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 24/ 30، والكرماني، لباب التفاسير، ص: 2578، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 272، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 17، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن: 13/ 239، والسفاريني، لوامع الأنوار: 2/ 161.

ويذكِّرُ بإقامة العدل والحقِّ، وفي هذا العطف مِنَ التَّناسُبِ ما لا يخفى[1]، ويمكن كونُها استئنافيَّة لما في معنى الآية مِنَ الانتقال مِنَ الأهوال الدُّنيويَّة إلى أهوال يوم القيامة[2].

بلاغةُ الاستعارةِ في التَّعبير بالفعل الماضي:

التَّعبيرُ بالماضي لتحقيقِ الوقوعِ وحتميَّة الوجودِ

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ مرادًا بهِ الاستقبال والاستمرار، فلم يقل: (وسيُنفخ)؛ وذلك لتحقّقِ الوقوع، والفعل الماضي قد يحتمل غيرَ المضيِّ[3]؛ إذا اقترن بما يدلُّ على ذلك من السّياق، وهنا قد خرج الماضي عن غرضِه الحقيقيِّ إلى غرضٍ مجازيٍّ، فهو استعارةٌ تبعيَّةٌ؛ إذ شُبِّهَ فعلُ المستقبل بالفعل الماضي، وصُرِّحَ بالماضي؛ لبيان تحقُّقِ وقوعه وحتميَّته.

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المبني للمفعولِ:

حكمةُ الخطابِ في توجيهِ الأنظارِ للحدثِ لا لمُحدِثِه

جاء فعلُ ﴿وَنُفِخَ﴾ مبنيًّا للمفعول؛ وذلك لعدم وجودِ غرضٍ لذكرِ الفاعل، فإنَّ النّافخَ معلومٌ، وهو المَلَك الموكَّل بالنَّفخ في القرن (إسرافيل)، والآمرُ بالنَّفخ معلومٌ، وهو اللهُ تعالى، فبات الأمرُ متَّجهًا إلى النَّفخ باعتبارِه الأمر المهول في ذلك اليوم، فكأنَّه قيل: وقع النَّفخ في الصّور، فَصَعِقَ مَنْ في السَّمواتِ ومَن في الأرْضِ، أي: ماتوا بسببِ ذلك، ويحتمل أنَّهم يُغشى عليهم أوَّلًا، ثمّ يموتون، واستخدام المبنيِّ للمفعول في (نُفِخَ) يضفي جوًّا من الرَّهبة والغموض، ويُشعر المتلقّي بعظمة هذا الحدث الجَلَل الَّذي يفوق الإدراك البشريَّ، خاصَّة أنَّ النَّفخ مرتبطٌ بقيام السّاعة وما يتبعها، فينشغلُ المُخاطَبُ بفعل النّفخ نفسِه ولا ينشغلُ بمعرفة الفاعل[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 64.
(2) علوان وآخرون، إعراب القرآن الكريم: 4/ 2058.
(3) السامرائي، معاني النحو: 3/ 309.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 283.

دلالةُ استعمالِ حرفِ الظَّرفيَّة:

هيبةُ النَّفخةِ في الصّورِ تعمُّ المكان

في قولهِ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ تدلُّ ﴿فِي﴾ على الظَّرفيَّة المكانيَّة، وتبرز عمقَ التَّصوير البلاغي والمكاني للحدث، وذلك أنَّ النَّفخ يحدث داخل الصّورِ، الَّذي يُنفخ فيه لإعلان أهوال القيامة، فالنَّفخةُ فيها الإحاطة والانتشار في أرجاء السَّماواتِ والأرض، واختيارُ الظَّرفيَّة يؤكِّد هيبةَ النَّفخ، لشموليَّة تأثيره في الصّور، والمكانُ الَّذي يعمُّه النَّفخ، والَّذي يريده الحقُّ ﷻ مِن هذا السّياق ذِكر الحدث مع ما تعلَّق به من مجرور[1].

نكتةُ حذْفِ متعلِّق النَّفخ:

بلاغةُ حذفِ مُتعلّق فعل النّفخ

حُذِفَ متعلِّقُ فعل النَّفخ في قولهِ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾، وهو ما يمكن تقديرُهُ بـ(نفخة)، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة: 13]، وحذْفُ المتعلِّق لتوجيه الأنظارِ إلى الحدث العظيم في ذلك اليوم، مع التَّركيز على الأثر المترتِّب على النَّفخ، وهو قيامُ الأموات لحشرهم، وهذا الموقف مدعاةٌ للتأمُّل في عظمة الله وقدرته على التَّحكُّم بمصير الخلق، كما أنَّه يُبرزُ الرَّهبة والعظمة المرتبطة بهذا الحدث الجلَل، ودلالةُ حذْفِ المتعلِّق هي التَّعميم والإطلاق؛ إذ يُفهم مِنَ السّياق أنَّ هذا النَّفخ هو أمرٌ عظيم شامل ومحدَّدٌ، يعرفه المخاطَبون ضمنيًّا؛ بسبب عظمةِ الحدثِ وارتباطِهِ بقيام السّاعة.

نوعُ الفاءِ ودلالتُها:

التَّعقيبُ المباشرُ، فبمجرَّدِ وقوعِ النَّفخِ يُصعَقُ الخلقُ

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ﴾ عاطفةٌ، وهو مِن باب عطفِ الجملةِ على الجملة، فجملةُ ﴿فَصَعِقَ﴾ معطوفةٌ على ما سبق، والعطفُ أفاد التَّعقيبَ المباشر، أي: إنَّ النَّفخ في الصّور يتبعه الصَّعق بلا تراخٍ أو مُهْلةٍ، للارتباط القويِّ بين الفعل ونتيجته،

(1) السامرائي، معاني النحو: 2/ 82.

وتحتمل الفاءُ أن تكونَ سببيَّة، فالنَّفخُ لما فيه مِن فزعٍ وهولٍ وشدَّةٍ، تَسبَّب بالصَّعق، أي: بالموت.

بلاغةُ استعمال مفردة الصَّعق:

تشبيهُ الغيب ممّا لم تجرِ به العادةُ إلى المشاهد المعلوم

آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ مفردةِ ﴿فَصَعِقَ﴾؛ لما فيه من التَّناسب مع السّياق الكونيِّ، الَّذي يتحدَّث عن نهاية الحياةِ في السَّماوات والأرض، فهي صوتٌ وأيُّ صوت؟ إنَّها قوَّةٌ هائلة تُسبِّب انهيارًا شاملًا للحياة، ممّا يجعل المشهدَ أكثر هيبةً ورهبةً في تصوُّر السّامع، وفعل (صعِقَ) دالٌّ على الحدث الَّذي يتحقَّق بأمرِ الله تعالى، ومعناه المحوريُّ: "اختراقٌ أثناء الشَّيء وعُمْقه، فينهار، أو انهيار الشَّيء لذَهاب الشِّدَّة من أثنائه، كخروج ذلك الخوار الصَّوت الشَّديد مِن جوف الثَّور، وكذَهاب الشِّدَّة والتَّماسك من أثناء البئر"[1]، فهو صعقٌ يأتي مِن أعلى لمشابهته بالصّاعقة التي تنزل مِن علوٍّ، وفيه أثرُ الموت كالصّاعقة، وفيه شدَّة الصّوتِ كصوت الصّاعقة، لكنَّه صعقٌ غير مسموعٍ من قبل، فهو مِن باب الاستعارة التّصريحيّة، حيث شبّه الموت بالصّاعقة بجامع وقوع المفاجأة في كليهما، والهلاك الذي قد يترتّب عليهما.

نكتةُ استعمال الاسم الموصول:

شمولُ جميع المُدرَكين المقصودين بالصَّعقِ

استعمل النَّظمُ الكريم الاسمَ الموصول في قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾، وجاء بـ ﴿مَن﴾ الَّتي هي اسمُ موصولٍ تُستعمل في الغالبِ للعاقل[2]، في المواضع الثَّلاثةِ في الآية، وذلك أنَّ العقلاءَ هم المقصودون بالصَّعقِ، وباقي المخلوقات تبعٌ لهم، فذكر المقصودَ بالاسم الموصول ﴿مَن﴾؛ ليشملَ العقلاء بالدَّرجة الأولى، وللدَّلالة على العمومِ من جهة أخرى، فإنَّ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صعق).
(2) درويش، إعراب القرآن: 8/ 446.

﴿مَن﴾ أعمُّ مِن (الذي)، فيدخلُ في ذلك جميعُ المدركين العقلاء مِنَ المؤمنين والكافرين والبشر وغيرهم.

نكتةُ تقديم صعقِ أهل السَّموات على صعقِ أهل الأرض:

جـهـة مـبـدأ الصَّعقِ مقدَّمةٌ على جهةِ المُنتهى

قُدِّم ذِكرُ السَّماوات على الأرض في أغلب المواضع في القرآن الكريم، لعظمها وشرفها عند الله تعالى، وأمّا تقديمها في قوله تعالى: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ وذلك لأنَّ السّاعةَ إنَّما تأتي أهوالُها من قبل السَّماء، وهي غيب فيها، ومِن جهتها السّاعة تبدأ، وتنشأ، فقدَّم جهة المبدأ، على جهةِ المنتهى، ولمّا كان صعقُ أهلِ السَّماء غيرَ متصوَّرٍ ومستبعد للمخاطَبين؛ بدأ به ليُعلم أنَّه لا استثناء لهذا الصَّعق، بخلافِ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: 61]؛ إذ السّياقُ في بيانِ علم الله تعالى بأعمال البشر وخفاياهم، فبدأ بالأرضِ؛ لأنَّ المخاطَبين سكّانها، وهم المقصودون بالخطاب.

نوعُ الواو ودلالتُها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عاطفةٌ[1] على قوله تعالى: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ لتدلَّ على أنَّ التَّأثير الَّذي سيحدث سيشمل جميعَ الكائنات، دون استثناء.

غرضُ إعادة الاسم الموصول وصلته:

عـظـمُ الـحـدث وشـدَّة الـهـول يقتضيان إفـرادَ كلِّ جهةٍ بالذِّكر

تكرار الاسم الموصول (مَنْ) في الآية يبرز غرضًا معيَّنًا في النَّصِّ القرآنيِّ، وهو قصدُ التَّنصيص على الأفراد، فالمقصودُ كلُّ فرد من أفراد الموجودين في السَّمَوَتِ والأرض، على وجه التَّخصيص، فكرَّر لأجل ذلك (مَنْ)؛ للدَّلالة على التَّفصيل والإحاطة[2]، فإفرادُ كلٍّ مجموعة بالذِّكر لأجل إبراز شموليَّة الحدث وهوله فيها، والمبالغة

(1) علوان، إعراب القرآن: 4/ 2058.
(2) السامرائي، معاني النحو: 1/ 143.

في تصويره، ولا يخفى ما فيه من ملمحِ التَّقسيم والتَّنويع، فاللهُ ﷻ قد قسم الخلق إلى جهتين عظيمتين: جهةٍ ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وهم الملائكةُ وسكّانُ السَّماوات، وجهةٍ ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وهم الإنسُ والجنُّ وغيرُهما؛ إظهارًا للعناية بالمذكورين، فالسّياق القُرآنيُّ يَلْفت النَّظر إلى أنَّ الحدثَ عظيمٌ لتأثيرِه في كلِّ طرفٍ، دون دمجهم اختصارًا.

بديعُ فنِّ الطِّباق:

التَّقابل يُضفي رهبةً على الموقف

الطِّباق يبرزُ التَّقابل بين الأعلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والأدنى ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، من حيثُ التَّقابل المكاني بين العلوِّ والسُّموِّ للسَّماوات، والسُّفل والدنوِّ للأرض، وهذا التَّقابل يجمع بين متضادَّين، ويجعل المعنى أكثرَ تأثيرًا، ويُؤكِّد إحساسَ السّامع بعظمة الموقف وهيبتِه، كما أنَّ هذا الطِّباقَ يُضفي تناسقًا بيانيًّا يُعمِّق أثرَ النَّصِّ في النَّفس، ويوحي بكمال المعنى وترابطه، ونوع هذا الطّباق: طباق إيجاب.

نوعُ الاستثناء ومعناه:

احتمالُ الاستثناءِ للاتِّصال والانقطاع

الاستثناءُ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هو مِن الصَّعق الشّامل لمخلوقات السَّماوات والأرض، فـ﴿إِلَّا﴾ أداةُ استثناء، والاستثناء هنا قد يكون مُتّصلًا إن قصد كلَّ مَن في السَّماوات والأرض، والمعنى: إلّا مَن شاءَ اللَّهُ، فَلَم يُصعَق، أي: لَم يَمُت، وقد يكون منقطعًا؛ إن أريد بالسَّمَوَتِ جهة العلو، فإنَّ حَمَلَةَ العرشِ ليسوا في السَّمَوَتِ بالمعنى المعروف[1]، وتكون أداة الاستثناء هنا بمعنى (لكن)، والمُستثنى ليس من جنس المُستثنى منه، ونقدّر الكلام بعد ﴿إِلَّا﴾ على أنّه استئنافٌ جديدٌ، وهذا الاستثناءُ يُظهر إرادةَ الله المطلقة؛ إذ يشمل الصَّعقُ الجميعَ إلّا مَن أرادَ الله استثناءَهُ لحكمة.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 221، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 282.

وجهُ استعمالِ ﴿مَن﴾ دون (ما):

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمال الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهي تُستعمل في الغالب للعقلاءِ، دون (ما)؛ لأنَّ الاستثناءَ إن وقع فللعقلاءِ، فضلًا عن إفادتها لمعنى العموم.

فائدةُ حذف متعلّق فعلِ المشيئة:

سـعـةُ الأمـرِ وعمومُهُ يناسبُه الحذفُ

حُذِف متعلّق فعلِ المشيئة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، فلم يقل: (إلّا مَن شاء الله ألّا يُصعق)؛ لتعميم المرادِ استثناؤُهُ من الصَّعق؛ لأنَّ مشيئة الله تعالى تقع بحسب علم الله تعالى وحكمته، والأمرُ أوسعُ مِن أن يُحصر في مذكورٍ، كما أنَّه قد جرتِ العادةُ الغالبة بحذفِ متعلّقات أفعال المشيئة.

وقد أخفى الحقُّ ﷻ الخلق الَّذين استثناهم مِن تلك الصَّعقة، وجعل الأمر إليه وحدَهُ في معرفتهم، وإن ورد ذكر لبعض مَن لا تصيبُهم تلك الصَّعقة، إلا أنَّ مِن السَّلف من يجعل ذلك مِن علم اللهِ، فهو وحدَهُ أعلَمُ مَن هُم، ولَيسَ في القُرآنِ والأخبارِ ما يَدُلُّ عَليهم صراحةً[1].

نوعُ حرفِ التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾ ودلالته:

احتمالُ التَّراخي للزَّمنِ والرُّتبة

آثر النَّظمُ الكريمُ استعمالَ حرف التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾ في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾؛ للإيماءِ إلى ما جاء في حديثِ أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «بين النَّفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا، قال: أبَيْتُ، قال: أربعون سنة، قال: أبَيْتُ، قال: أربعون شهرًا، قال: أبَيْتُ»[2]، فلم يُبيِّن الصحابيُّ الجليل ما تفسير الأربعين، هل هي سَنةٌ، أو يومٌ، أو شَهْرٌ؟ ولكنَّ الَّذي يعنينا أنَّها أربعون، وهذه

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: (27/ 476).

(2) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة الزمر، حديث رقم: (4536)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، حديث رقم: (2955).

الأربعون مهما كان جنسها، فهي مدَّةٌ متراخيةٌ من حيثُ الزَّمن، ويحتمل كذلك أن يكونَ التَّراخي رُتْبيًّا، فرتبةُ نفخةِ الصَّعقِ لحقتها رتبةُ صعقة البعث والإحياء.

فائدةُ إعادةِ فعلِ ﴿نُفِخَ﴾ مرَّةً ثانيةً:

بيانُ استقلالِ كلِّ نفخةٍ عن الأخرى

أعاد النَّظمُ الكريمُ فعلَ ﴿نُفِخَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾؛ وذلك لبيانِ أنَّ كلَّ نفخةٍ من النَّفختين مستقلَّةٌ عن الأخرى، بحدثِها وآثارِها، وهذا الأسلوبُ القُرآنيُّ يُحقِّق التَّوازن، بين الإيجاز البلاغي والإعجاز البياني، من حيثُ تعظيم الموقف الذي يضفي رهبة وهيبةً على المشهد، المرتبط بالقيامة، كما لا يخفى ما في جعل الفعل مبنيًّا للمفعول، من الدَّلالة على الاختلاف بين النَّفختين: فالنَّفخة الأولى: تُميت وتُدمِّر، والنَّفخة الثّانية: تُحيي، وتبعث، وإعادتُهُ بهذه الصّيغة توحي بأنَّ لكلِّ نفخةٍ دورًا مستقلًّا وعظيمًا، رغم أنَّ الفاعل ذاتهُ، فالإعادةُ هنا ليست تَكرارًا، بل لإبراز اختلاف الأثر.

بلاغةُ استعمال مفردةِ ﴿أُخۡرَىٰ﴾:

النَّفخة الأولى إنهاءٌ للحياةِ الأولى، والنَّفخة الأخرى مقدّمةٌ للحياةِ الأخرى

جاءت لفظةُ ﴿أُخۡرَىٰ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾، نائبَ فاعلٍ لـ ﴿نُفِخَ﴾، ويجوز أن يكونَ الجار والمجرور ﴿فِيهِ﴾ قام مقام نائبِ الفاعل، وعلى هذا فإنَّ ﴿أُخۡرَىٰ﴾ تكونُ صفة لمصدر محذوف[1]، وجاء التَّعبيرُ بأخرى لبيان الاختلاف التّام بين النَّفختين، فهي أخرى غيرُ الأولى، فهي نفخةٌ مُخالفٌ تأثيرُها لتأثير النَّفخة الأولى؛ لأنَّ الأولى نفخةُ إهلاك وصعق، والثّانيةَ نفخةُ إحياءٍ وبعث، وذلك باختلاف الصّوتين، أو باختلاف أمرَي التَّكوين، وناسب اختيار هذه المفردة، باعتبارِ اليوم الآخر؛ فإنَّ الأخرى هي

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 446.

الموقِظةُ لليومِ الآخر، فالنَّفخة الأولى إنهاءٌ للحياةِ الأولى، والنَّفخة الأخرى مقدِّمةٌ للحياةِ الأخرى.

نوعُ الفاء ودلالتُها:

النَّفخةُ الأخرى إذنٌ بحلولِ الحياةِ وأمرٌ بسرعة القيام

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ للعطفِ والتَّعقيب[1]، يعني: أنَّ قيامَهم مِنَ القبور يحصل عقيبَ هذه النَّفخة الأخيرة في الحال من غير تراخٍ[2]، فبمجرَّدِ النَّفخ يقع القيام، وتحلُّ الحياةُ فيهم سريعًا، وقيامهم إثره متهيِّئين، بدهشةٍ وذهولٍ؛ لما سيقع بهم[3]، وهي تحتمل السَّببيَّة الَّتي المراد منها لزوم ما بعدها لما قبلها[4]، فقيامُهم بهذه الحال منتظرين عاقبة المآل، سببٌ لما سبق من النَّفخ والإحياء.

نوعُ الأداة (إذا) ودلالتُه:

مشهدُ القيامةِ مفاجِئٌ في أحداثه المكانيَّة والزَّمانيَّة

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ جيءَ بـ(إذا) في هذا السّياق للدَّلالة على المفاجأة، أي: إنَّهم الآن أحياءٌ قَد أُعيدَتْ لَهُمُ الأبدانُ والأرواحُ، فقاموا ينظرونَ نَظَرَ المَبهوتِ، إذا فاجَأَهُ خَطبٌ عَظيمٌ[5]، وقد اختُلف في إعراب (إذا) فقيل: ظَرفُ مَكانٍ، وقيل: وظَرفُ زَمانٍ[6]، فعلى كونِها ظرفَ مكانٍ، فهي تُفيد معنى المفاجأة، المرتبط بمكانٍ محدَّدٍ يقفون فيه، كأنَّهم انتقلوا فجأة من حال إلى حال في مكان بعينه، وعلى كونِها ظرفَ زمانٍ، فإنَّها تُفيد وقوع الحدث فجأة في وقت معيَّن، وهو وقت البعث والنُّشور؛ لتدلَّ على سرعة التَّحوُّل من الموت إلى الحياة.

نكتةُ التَّعبير بالاسميَّة:

يومُ القيامةِ لا محيدَ عنه قبل ثبوتِ الحسابِ فالجزاء

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالجملةِ الاسميَّة في قوله تعالى: ﴿هُمْ

(1) المبرد، المقتضب: 3/ 178.
(2) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 16/ 548.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 65.
(4) الرضي، شرح الكافية: 1/ 93.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 222.
(6) المبرد، المقتضب: 3/ 178، وابن الشجري، أمالي الشجري: 1/ 334، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/ 515.

﴿قِيَامٌ﴾، بدلًا من الفعليَّة؛ لما فيها من أغراض بلاغيَّة شتّى، منها: تركيزُ المعنى بما هو أقوى وأوضحُ؛ إذ يُركِّز على حقيقة أنَّهم في موقفِ القيام والنَّظر، وفيه إفادة الثَّبات والاستمرار، ممّا يُشير إلى حالة قيامِهم ونظرهم المستمرِّ فلا مجالَ للانصراف أو التَّغيير.

لطيفةُ تقديم المسندِ إليه على المُسند الفعليّ:

قُدِّمَ المُسندُ إليه ﴿هُمْ﴾ على المُسند الفعليّ ﴿قِيَامٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾؛ وذلك لتقوية الحُكم وتوكيده، فنظم الجملة مُشعرٌ بتحقّق قيامهم على هذه الحالة.

بلاغةُ استعمالِ لفظِ ﴿قِيَامٌ﴾ نكرةً:

التَّنكيرُ دليل تكثير المعاني في المشهد الغيبيّ

نُكِّر لفظُ ﴿قِيَامٌ﴾، وجاء منوَّنًا بتنوين التَّمكين[1]؛ ليدلَّ على خفَّته وتمكُّنه في باب الاسميَّة ولإرادة التَّعميم؛ للدَّلالة على تعدُّد معنى القيام، فقد يقصدُ به القيام المعروف، وقد يكون بِمَعنى الوُقوفِ والخُمود والثَّبات في المكان، ويَجيءُ القيامُ بِمَعنى الوُقوفِ، وقاموا هُنا بِمَعنى: وقَفوا، وثَبَتوا في مكانهم غيرَ مُتقدِّمينَ ولا متأخِّرين؛ لأجل استيلاء الحَيرَةِ والدَّهشة عليهم، والموقف الَّذي هم فيه صادق فيه حالهم هذا[2]، ويمكن أن يكون التّنكير هنا للنّوعيّة؛ لأنّه يتعلّق بأحوال السّاعة وأهوالها، وما يجري فيها من أحداثٍ لا يُمكن إدراك كُنهها والوقوف على حقيقتها، فهو قيامٌ ليس كنوع القيام الذي نعلمه.

براعةُ استعمال مفردةِ ﴿يَنظُرُونَ﴾:

جمعُ معاني النَّظر والانتظار والدَّهشة والهلع في لفظٍ واحدٍ

آثرَ النَّظم الكريمُ استعمالَ مفردة ﴿يَنظُرُونَ﴾ دون (يُبصرون) ونحوها، وذلك لتنوُّعِ معاني هذه المفردة، والمعنى: ينتظرون ما يُؤمَرون به، أو ينتظرون ماذا يُفعل بهم، وقيل: يقلِّبون أبصارَهم في الجهات

(1) السامرائي، معاني النحو: 3/ 294.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 477، وابن منظور، اللسان: (صعق).

نظرَ المبهوت؛ إذا فاجأه خطبٌ عظيم، وفيه إيماءٌ للهيبةِ والدَّهشة الَّتي حلَّت بهم بعد قيامِهم، فالعربُ تقول: النَّظرَةُ الهَيبَةُ، ولا يبعد ما في انتظارِهم وإنظارِهم من زيادة التَّقريع عليهم[1]، وقد يلمحُ فيه نظرُ الهَلع المختلط، كنظرِ الَّذي يُغشَى عليه من معالجةِ سكرات الموتِ، كما هو حال المنافقين يوم الأحزاب، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 19][2]، فجمعت المفردةُ بين النَّظرِ الَّذي هو بمعنى البصرِ، والانتظار، والهلع والخوف، والدَّهشة والمفاجأة، وهو ما لا تُؤدّيه مفردةٌ أخرى.

نكتةُ التَّعبير بصيغة الفعل المضارع:

التَّعبيرُ عن الانتظار والذُّهول في لحظة الهلع

جاء التَّعبيرُ بصيغة المضارع للفعل ﴿يَنظُرُونَ﴾؛ وذلك لدلالات عدَّة، منها: استحضار المشهد، واستشعار الموقف، كأنَّه يحدث الآن، في انتقالٍ سريعٍ من الموت والسُّكون، إلى الحياة، وكأنَّ النَّفخة الثانية تُصوَّر مباشرة أمامهم، وكذا في المضارع دلالةٌ على استمرار النَّظر وتجدُّده بعد القيام، وهم يتأمَّلون مصيرهم.

تنوُّعُ الإعرابِ لقوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ﴾:

ضمَّ فعل (ينظرون) إلى الخبرِ حالَهم حين القيام

خُتِمت الآيةُ بالجملة الفعليَّة ﴿يَنظُرُونَ﴾، وهي هنا: فعل مضارع مرفوعٌ بثبوت النّون، وواو الجماعة هي الفاعل، وجملة: ﴿يَنظُرُونَ﴾ في محلِّ رفعٍ خبرٌ آخرُ للمبتدأ ﴿هُمْ﴾، فهو خبرٌ بعد خبر[3]، وعلى جعْلِهِ خبرًا ثانيًا؛ فالمعنى: أنَّه يبرز حالتين متميِّزتين، بعد النَّفخة الثانية: قيامهم، ونظرهم، وتعدُّدُ الأخبار يزيد مِن تأكيد المعنى، ممّا يعكس شدَّة الحدث وعظمته، ويمكن أن تكون الجملة الفعليّة نعتًا لـ﴿قِيَامٌ﴾؛ أي وصفهم حينئذٍ يكون كذلك.

وتحتملُ الجملةُ أن تكونَ حالًا للضَّمير ﴿هُمْ﴾، فالمشهدُ يظهر فيه

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (نظر)، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 283.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 12/ 13.
(3) بهجت، الإعراب المفصل: 10/ 219.

النّاس بعد النَّفخ والإحياء، وهم في حالةِ ترقُّب وانتظارٍ لمآل المصير، فهُم بعد إحيائهم قاموا حال كونِهم ينظرون، نظر المَشْدوه، وكلا المعنيين في الإعراب يُظهر غِنى النَّصِّ القرآني، ودقَّته في التَّعبير عن الأحداث الكبرى بأسلوبٍ بديعٍ.

نكتة حذف متعلّق ﴿يَنظُرُونَ﴾:

إرادةُ العمومِ والإيجاز مع الإعجاز

حُذِف متعلِّقُ فعل ﴿يَنظُرُونَ﴾؛ لإطلاق الفعلِ عن القيود الَّتي من شأنها تقييدُ المعنى، فالمرادُ توجيهُ الأنظار إلى كون القائمين من قبورِهم ينظرون نظرَ المغشي عليه من الموت، أو نظر الهلع، أو نظر التَّربُّص، أو نظر الدَّهشة، ولو قيِّد الفعل بمتعلِّقٍ؛ لانحصرَ المعنى فيه، فحذف المتعلِّق لإرادة العموم، ولا يخفى وجه التَّناسُبِ مع سياق الآية الَّذي يُصوِّر المفاجأة، فهُم ينتقلون فجأةً مِنَ الموت إلى حالة قيام كامل.

❁ الفروقُ المعجميَّة:

الصَّعق والهلاك والموت:

الصَّعقُ أوَّل الموت، والهلاك فناء الميت

الصَّعق: هو المغشيُّ عَلَيه أو الَّذي يَموتُ فجأةً، ويُقال لكلِّ عَذابٍ مُهلِك[1]، والصَّعق من أسباب الموت، وليس هو، والموت: هوَ الحِمامُ والحَتْفُ والمَنيَّةُ، والمَنونُ - إذا أُنِّث - أُريدَ به المَنيَّةُ، وإذا ذُكِّرَ؛ فهوَ الدَّهرُ[2]، والهَلاك بفتح الهاء مصدر هلك، وهو افتقادُ الشَّيء عنك، ومنه فناءُ الشَّيء أو استحالتُه وفساده، ومنه الموتُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: 24]، ولم يذكر اللّهُ الموتَ بلفظ الهلاك؛ إذ يقصد به الذَّمَّ إلّا في هذا الموضع[3]، فالصَّعقُ في الإنسان أن يُغْشى عَليهِ، وإن لم يمت، والهلاك موتٌ لم يُعلن عنه إلّا بعد زمنٍ، وأمّا الموتُ؛ فهو إعلانُ انتهاء الحياةِ حقيقةً، فبين هذه الثَّلاثةِ عمومٌ وخصوصٌ مطلق.

(1) ابن منظور، اللسان: (صعق).
(2) العسكري، التلخيص، ص: 126.
(3) الراغب، المفردات: (هلك).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»